الظواهر اللغوية في مقدمة معجم العين

The Linguistic Phenomena in the Introduction of Al - Ain Dictionary

■ فتحي أحمد ابوالجام

محاضر، كلية الآداب، جامعة صبراتة

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى كشف ملامح شخصية الخليل العلمية والمنهج الفريد الذي اتبعه في كتابه العين، واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، لإبراز أهمية مقدمة معجم العين، لاشتمالها على العديد من القضايا اللغوية، وقد خلُص البحث إلى أن نسبة كتاب العين إلى الخليل بن أحمد دون غيره، كما وصف الخليل الأصوات الصائتة بالصعوبة بسبب اعتلالها أو دخول بعضها على بعض أو استخلاف بعضها بعضاً إلى جانب اتساع مخرجها و نبّه الخليل على أهمية حروف الذلاقة» فر من لب» والطلاقة» ع، ق، س، د » في استخدام المفردة داخل بناء الكلام العربي.

Abstract:

This research aims to discover the features of the scientific personality of Alkhaleel and the unique approach he followed in writing this dictionary. The researcher used the analytic, descriptive approachin order to highlight the importance of the introduction of the dictionary which includes many linguistic issues. It is concluded that Alkhaleel Bin Ahmed is author of this dictionary. Alkhaleel described the sounds known by its difficulty due to its vowel nature, assimilation or elision extended articulation. He emphasized the importance of the fricative sound /f/, /r/, /m/,/n/,/l/,/b/ and frictionless sounds /g/,/a/,/s/,/d/ in using the lexis in structuring the Arabic speech.

مقدمة:

كان للمؤلفين العرب القدامى من أئمة اللغة العربية الفضل الكبير في حفظ اللغة، لما قاموا به من الأعمال الجليلة، بجمع الكلام العربي، مدونين كل ذلك في كتب، ورسائل لا تحصى.

ومن بين أولئك الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعد رائد المعاجم العربية ومبتكراً نظاماً خاصاً، سار عليه أكثر اللغويين، منهم من قلّده، ومنهم من حاول التعديل في نظامه، وأثر الخليل بقي واضحاً، على مر الأزمان حتى أيامنا هذه، فهو صاحب مدرسة، ومبتكر النظام الصوتي، ونظام التقاليب الذي اعتمده في كتابه العين التي شرحها الباحث شرحاً وافياً، حيث بيّنت الدراسة جميع صور الكلام المستعمل والمهمل وسلك فيها الباحث المنهج التحليلي الوصفي لاتمام الدراسة بصورة مُثلى.

ولم تكن المحاولات المعجمية التي قامت من بعده سوى عملية تيسير المعجم العربي؛ لأن جميع المؤلفين كانوا يرجعون إليه، لذلك عمدت إلى دراسة مقدمة معجم العين بدقة وتفصيل لأجعلها مرجعاً للطلاب الذين يدرسون القضايا المعجمية، ويقومون بأبحاث ودراسات لغوية.

وتعد مقدمة العين أول مادة في علم الأصوات دلّت على أصالة علم الخليل، وإنّه صاحب هذا العلم ورائده الأول.

استهل الخليل مقدّمة العين بحمد الله وهدايته، مشيراً إلى قضيّة مهمّة تؤكّد على نسبة العين إلى الخليل بن أحمد دون غيره[1]، بقوله: «هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري رحمة الله عليه من حروف: أ، ب، ت، ث، مع ما تكمّلتْ به فكان مدار كلام العرب وألفاظهم فلا يخرج منها عنه شيء....»[2].

يفهم من النصّ السّابق أنّ الكلام العربي مكوّن من مجموعة حروف متناسقة في المخرج والصّفة، وتمثّل الحروف التي تتكوّن منها المفردات أو الكلمات رموزاً لأصوات تخرج من جهاز النطق في الإنسان[3] وقد قسّم علماء التّراث مخارج الحروف على عدة أقسام[4].

ثمّ أوضح الخليل علّة تسمية معجمه بالعين قائلاً: «...فأعملَ فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التّأليف من أوّل أ، ب، ت، ث وهو الألف؛ لأنّ الألف حرف معتلّ، فلمّا فاته الحرف الأوّل كره أن يبتدئ بالثّاني – وهو الباء – إلاّ بعد حجّة واستقصاء النّظر، فدبّر ونظر إلى

الحروف كلّها وذاقها فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء أدخلَ حرف منها في الحلق، وإنّما كان ذواقه إياها أنّه كان يفتح فاه بالألف ثمّ يظهر الحرف نحو ابْ، اتْ، احْ،اغْ، اغْ، فوجد العين أدخلَ الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب ثمّ ما قَرُبَ منها الأرفع فالأرفع حتّى أتى على آخرها وهو الميم.

فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدّم فهو في ذلك الكتاب[5].

يفهم من النّص السّابق أوّل ركائز منهج الخليل والمتمثّلة في:

1 – ترتيب حروف المعجم ترتيباً صوتيّاً ابتداءً بالعين وانتهاءً بالميم، منبّهاً الباحث على فهم هذا التّرتيب – التّرتيب الصوتي – الأدخل فالأدخل.

2 – عدم تكرار الكلمة في مواضع أُخر، أي: جمع الكلمة ومقلوباتها في مكان ليسهل على الباحث الوصول إلى طلبه في سهولة ويسر.

ومن خلال ما سبق نلحظ أن الحجم الذي شغلته الحروف الحلقية وما يليها من حجم المعجم أكبر من الحجم الذي تشغله باقي الحروف.

وإليك تفصيل ركائز منهجه على النّحو الآتي[6]:

أولاً: ترتيب الحروف العربية ترتيباً صوتياً

ابتكر الخليل بن أحمد ترتيب الحروف ترتيباً صوتيّاً على قدر مخرجها من الحلق، وهذا تأليفها وترتيبها ووضعها (ع، ح، هـ، خ، غ – ق، ك – ج، ش، ض – ص،س،ز – ط، د،ت – ظ،ث،ذ – ر،ل،ن – ف،ب،م – و،ا، ي، همزة)[7].

ثانياً: الأبنية

يقصد بالأبنية عدد حروف الكلمة، وهو أربعة أصناف: ثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي، وقد أشار الخليل إليها بقوله: «كلام العرب مبنيّ على أربعة أصناف: على الثّنائيّ، والثّلاثيّ، والرّباعيّ، والخماسيّ، فالثنائيّ على حرفين نحو: قَدْ، لَمْ، هَلْ، لَوْ وبلْ ...، والثّلاثيّ من الأفعال نحو قولك: ضَرَبَ، خَرَجَ، دَخَلَ، مبنيّ على ثلاثة أحرف، ومن الأسماء نحو: عُمَر، جَمَل، شَجَر، مبنيّ على ثلاثة أحرف، والرّباعي من الأفعال نحو: دَحْرَجَ، هَمْلَجَ، قَرْطَسَ، مبنيّ على أربعة أحرف، ومن الأسماء نحو: عَبْقَر، عَقْرَب، وجُنْدُب،

وشبهه، والخماسي من الأفعال نحو: اسْحَنْكَكَ، واقشَعَرّ، واسْحَنْفَرَ، واسْبَكَرَّ مبنيّ على خمسة أحرف، ومن الأسماء نحو: سَفَرْجَل، وهَمَرْجل، وشَمَرْدل، وكَنَهْبل، وقَرَعْبل، عقنقل، وقبعثر وشبهه...»[8].

ونلحظ مما سبق :

1 - أنّ الخليل قسّم أصناف الكلام على أربعة أقسام: ثنائيّ ثمّ ثلاثيّ بشقيّه الأفعال والأسماء، والرّباعي بشقيّه الأفعال والأسماء، والخماسيّ بشقيّه الأفعال والأسماء، أي: قدّم الأفعال أولاً ثم جاء بالأسماء ثانياً.

2 - نصّ الخليل على ألف الوصل وأهميتها في نطق الكلام، فهي بمثابة عماد وسلّم للسان إلى حرف البناء بقوله: « والألف التي في اسحنكك، واقشعر واسحنفر واسبكر ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام لتكون الألف عماداً وسلماً للسان إلى حرف البناء، لأن اللسان لا ينطق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل»[9].

3 - كما نبّه الخليل على ظاهرة التّشديد التي تمثّل ظاهرة إدغام حرفين متماثلين[10]، بقوله: « اعلم أنّ الرّاء في اقشعرَّ واسبكرَّ هما راءان أُدغمت واحدة في الأخرى، والتّشديد علامة الإدغام»[11].

ويفصّل الخليل القول في مسألة بناء كلام العرب بقوله: «وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف، في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة، مثل: قَرَعْبلانة، إنّما أصُل بنائها، قَرَعْبل ومثل عَنْكَبُوت إنّما أصل بنائها عَنْكَب»[12].

وحدّد الخليل أنّ الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف بقوله: « الاسم لا يكون أقلّ من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف يُحْشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل: سَعْد وعُمَر ونحوهما من الأسماء، بُدئ بالعين وحُشيت الكلمة بالميم ووقف على الرّاء، فأمّا زَيْد وكَيْد فالياء متعلّقة لا يعتدّ بها»[13]،فالثلاثيّ أخف التراكيب وأعدلها[14].

وقد ميّز الخليل بشكل خاص والعرب القدامى بشكل عام بين نوعين من الأصوات وهي:

1 – الصحاح (الصوامت).

2 – الجوف (الصّوائت أو المصوتات).

وتمييز الخليل بن أحمد في نصه بين هذين النوعين من الأصوات دليل على إدراكه خصائص كلّ نوع منهما، ويؤكّد هذا القول قول الأزهري: « والعويص في الحروف المعتلة وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو، فأمّا الهمزة فلا هجاء لها إنما تكتب مرّة ألفاً ومرّة واواً، ومرّة ياءً، فأمّا الألف اللّينة فلا صرف لها، إنّما هي جرس مدّة بعد فتحة فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو ...»[15].

وأدرك ابن جنيّ الفرق الأساسيّ بين النّوعين، فالأصوات الصامتة ينحصر فيها الصّوت شديدة كانت أم رخوة وإن تفاوت هذا الحصر، بينما الأصوات الصّائتة لا ينحصر فيها الصوت لاتّساع مخارجها، فيستمر فيها الصّوت دون عائق حتى ينفذ[16]. وفرّق ابن سيناء بين صوتي الواو والياء (الصامتين أو الصائتين) وأشار إلى خصائصهما الأساسية فالأصوات الصامتة لها مخرج محدد وتنتج عن (ضغط وحفز الهواء)، والأصوات المصوتة لا مخرج محدداً لها ولا تحدث نتيجة ضغط وحفز[17].

ولم يخرج القدامى[18] والمحدثون[19] في تمييزهم بين الصوامت والصوائت عن هذا المفهوم، وصفوة القول: إنّ التمييز بين المصطلحين الصّوتيين الصامت والصائت الخاص بالواو أو الياء يتم من ناحيتين: الأولى: صرفية، والثانية: صوتية.

وقبل الخوض في هذه المسألة نعرج على بعض الأمور التي تتعلق بعدد أصوات حروف اللغة العربية البالغ عددها ثمانية وعشرين حرفا أو تسعة وعشرين حرفا على خلاف بين اللغويين في ذلك حيث تنقسم هذه الأصوات إلى قسمين:

1 – أصوات صامتة وتسمّى أحياناً ساكنة، وعددها خمسة وعشرين حرفاً لها مخارج وأحياز ومدارج تُنسب إليها.

2 – أصوات صائتة أو مصوتة ويقال لها: جوفية، وهي أربعة: الياء والواو والألف اللينة والهمزة، ولكلّ حرف من حروف اللغة العربية صرف وجرس[20]ما عدا الهمزة والألف، فالجرس هو الصّوت في سكون الحرف، وأما الصّرف فهو حركة الحرف.

نظرة علماء اللّغة القدامى للأصوات الصّائتة:

نظر اللّغويون العرب القدامى للأصوات الصائتة «الألف والواو والياء» من زاويتين: زاوية تشكيليّة صرفيّة، وزاوية صوتيّة محضة.

وإذا تتبعنا ما كتبه اللغويون العرب القدامى في باب الإعلال[21] برزت لنا نظرتهم التشكيليّة الصرفيّة بوضوح، فقد سموا «الألف والواو والياء» حروف علّة لكثرة تغيرها وسقوطها في الكلام، وعدم إثباتها في الكتابة أحياناً، فالخليل بن أحمد يسمّي «الألف والواو والياء» حروف علة، ويقدّم الأمثلة التالية ليبرهن كثرة تغيرها وتقلبها نحو: ضَرَا، ضَرِي، ضَرُوَ، خَلَا، خَلِيَ، خَلُوَ[22].

وهذه الحروف – كما يرى الخليل – متغيّرة، فقد نظر فيها نظرة تشكيليّة صرفيّة والنّظرة الصّوتية فيما قدّمه الخليل من أمثلة تجعلنا ندرك ضرورة وجود الألف في (ضَرَا) لمناسبة الفتحة، ووجود الياء في (ضَرِي) لمناسبة الكسرة، والواو في (ضَرُوَ) لمناسبة الضمة، وكذلك القول نفسه في المثال الثاني (خَلُوَ).

وأحسّ علماء الأصوات العربية المحدثون[23] بصعوبة وصف الأصوات الصائتة أو المصوتة قياساً بالأصوات الصامتة، بسبب اتّساع مخرجها وازدواجيّة طبيعة الواو والياء، فالأصوات الصائتة هي:

1 – الألف السّاكنة المفتوح ما قبلها نحو: قَالَ.

2 – الواو السّاكنة المضموم ما قبلها نحو: يَقُول.

3 – الياء السّاكنة المكسور ما قبلها نحو: قِيل.

والذي يلحظ هو أنّ هذه الحروف كي تكون حروف مد لابدّ أن تكون ساكنة، وأن يكون ما قبلها متحركاً بحركة من جنسها، فالألف تناسبها الفتحة، والواو تناسبها الضمة، والياء تناسبها الكسرة.

واعلم أن الألف لا يخرج إلاّ من الجوف لأنه لا يكون إلاّ ساكناً مفتوحاً ما قبله، أما الواو، والياء فقد تخرجان من غير مخرج الجوف، وذلك إذا خالفتا شرط المدّ[24]، وعليه يكون للألف مخرج واحد مقدّر، و لكلّ من الواو والياء مخرجان: أحدهما مقدّر، والآخر محقّق.

ويقصد بالمخرج المحقّق[25]: الذي يعتمد على جزء من أجزاء الفم كمخرج الحلق، واللّسان، والشفتين، والمخرج المقدّر: الذي لا يعتمد على أي من أجزاء الفم، وليس له إلا مخرج واحد وهو الجوف، تقدّر فيه الحروف الخارجة منه، وهو عبارة عن الهواء والخلاء الواقع في الفم والحلق، فليس له حيّز أو حاجز معيّن، ولذلك تقدّر فيه الحروف، فمخرج الأصوات الصائتة عند علماء العربية هو الجوف ويقصد به الخلاء الداخل في الفم، نحو:

1 – مخرج الهمزة من أقصى الحلق عند العين.

2 – مخرج الياء والواو والألف اللّينة منوطات بها ومدارج أصواتها مختلفة:

- الألف مدرجها شاخص نحو الغار الأعلى، وأصلها من عند الهمزة.
- الياء مدرجها منخفض نحو الأضراس، وأصلها من عند الهمزة.
- الواو مدرجها مستمر بين الشفتين وأصلها من عند الهمزة[26].

ونصل من خلال ما سبق أنّ الألف لا يكون إلا صوتاً صائتاً، وأما الواو والياء فتكونان صوتين صامتين وصائتين، ولكن ما السبيل للتفريق بينهما في ظل استخدام رمزٍ واحدٍ واسمٍ واحدٍ للمصطلحين الصامت والصائت؟

يمكن تيسير الأمر على الباحث في التّفريق بين المصطلحين من خلال بعض المعايير التي توصل إليها علماء الأصوات وهي:

1 – **تكون الواو والياء صوتين صامتين في الحالات الآتية:**

- إذا وقعتا في أوّل الكلمة؛ إذ من المحال عدهما حركتين لامتناع بدء الكلمة العربية بالحركات، مثل: وعد، ولد، يترك، يتم[27].
- إذا وقعتا ساكنتين بعد فتح نحو: يَوْم، صَوْم، نَوْم، عَيْن، بَيْت، بَيْض.
- إذا أصابهما التّضعيف،أي: تشديد الحرف مثل: قوّام، صوّام، ميّال، معزوّ، كرسيّ.
- **وتكون الواو والياء صوتين صائتين في الآتي:**

1 – إذا كانتا ساكنتين وكلّ منهما مسبوق بحركة تجانسها مثل: الغازِي، يَرْمِي، المَدْعُو، يَدْعُو.

2 – يمكن التّفريق بين الواو والياء (الصامتين أو الصائتين) عن طريق النطق، فنطق الأصوات الصائتة لا يصاحبه تضييق لمجرى الهواء أو قفل تام في موضع من

مواضع النطق، فهو تضييق تجويفي وليس موضعي.

أما إذا كان الواو والياء صوتين صامتين فهما من المخرج نفسه، إلاّ أنّ المخرج في الصامتين أقل انفتاحاً من الصائتين[28].

·عالج الخليل قضيّة تحويل البناء الثّنائيّ في مثل: لو، وقد، وهل اسماً، بإدخال التّشديد فنقول هذه لوٌّ مكتوبة، وهذه قدٌّ حسنة الكتبة، فالتّشديد علامة الإدغام والحرف الثالث كقول أبي زُبيد الطائيّ:

لـيـتَ شـعـري وأيـــنَ مِـنّـي لَـــيْـــتُ إنَّ لَـيـتـــــا وإنَّ لَـوـــــّا عَـنَـاءُ

فشدَّدَ « لوّا» حين جعله اسماً.[29]

·كما أشار الخليل إلى وجود أسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف مثل: يد، ودم، وفم، وحذف الحرف الثّالث لعلّة التقاء السّاكنين، فثبت التّنوين لأنّه إعراب، وذهب الحرف السّاكن.

وأورد الخليل طرقاً لمعرفة أصل الحرف المحذوف، تتمثّل الأولى في الجمع والثّانية في التّصغير كقولهم في يد : أيديهم في الجمع، ويُديّة في التّصغير، والثّالثة الإتيان بالفعل فنقول: دميت يده، والرّابعة تثنية الاسم فنقول في فم : فموان، عرفت أنّ الحرف الذاهب من الفم هو الواو، وأصل الكلمة كما يقول الخليل: «الفم أصله فوه كما ترى والجمع أفواه والفعل فاه يفوه فوهاً، إذا فتح فمه للكلام ...»[30].

·نبّه الخليل على أهميّة حروف الذّلاقة السّتة أي: الحروف الذُلق وهي: « ر ،ل، ن» والشفوية وهي: «ف، ب، م» بقوله: «وإنّما سُمّيت هذه الحروف ذلقاً لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللّسان والشّفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف السّتة...»[31].

·وصف الخليل مخرج الحروف وكيفيّة حدوثها أو نطقها بقوله: «ولا ينطق اللّسان إلا بالرّاء واللاّم والنّون، وأمّا سائر الحروف فإنّها ارتفعت فوق ظهر اللّسان من لدن باطن الثايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللّسان ليس للسان فيهن عمل، كثر من تحريك الطبقتين بهن ولم ينحرفن عن ظهر اللّسان انحراف الرّاء واللاّم والنّون، وأمّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عُكْدَة اللّسان بين اللّهاة في أقصى الفم، وأمّا مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالْحَلْقُ، وأمّا الهمزة فمخرجها

من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح[32].

نستنبط من النصين السابقين وصف الخليل لأعضاء النطق الإيجابية التي تلعب دوراً مهماً في نطق الحروف ابتداءً بالشفتين في نطقهما: «الفاء والباء والميم»، ثم أسلة اللسان في نطقها «الراء واللام والنون»، ثم وزّع الخليل بعض الحروف على ظهر اللسان من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين وعددها سبعة أحرف وهي: التاء، الدال، والطاء، والزاي، والسين، والصاد والضاد.

ووصف مخرج الشين بأنّه بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان، ثم بين مخرج الجيم والقاف والكاف بين عكدة[33] اللسان واللهاة في أقصى الفم.

ثم بين مخرج الحلق وأصواته الخمسة: العين والحاء والهاء والخاء والغين. وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت وصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح.

نص الخليل على أهمية حروف الذلاقة التي تجمع في عبارة «فر من لب» بعدها معياراً مهماً لمعرفة الكلام العربي من غيره بقوله: « فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب»[34].

ذكر الخليل مجموعة من المعايير والضّوابط للتّمييز بين الكلام العربيّ والكلام الدّخيل أو المعرّب وتتمثّل فيمايلي:

1 – إنّ البناء الرّباعي والخماسيّ لا يخلو من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة.

2 – البناء الرباعي والخماسي إن خلا من حروف الذلاقة فإنه لا يخلو من حروف الطلاقة، وسُمّيت بذلك لأنها أطلق الحروف وأضخمها جرساً، وهذه الحروف هي: العين والقاف والسين والدال، قال الخليل: «مهما جاء من اسم رباعي منبسط مُعرَّى من الحروف الذلق والشفوية فإنّه لا يعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما، ومن السين والدال أو أحدهما»[35].

3 – لا يوجد اسم عربي مُصدّر بـ «نر» مثل: نرجس[36].

4 – اختصاص اللغة العربية بحرف الظاء من دون سائر اللغات، قال الخليل: «ولا كلمة صدرها «نر» وليس في شيء من الألسن ظاء غير العربية »[37].

5 – مصطلح الحكاية نوعان: حكاية مؤلفة، وهي التي يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ما ضم إليها في عجزها، مثل كلمة دهدق، فكأنهم ضموا « د هـ» إلى «د ق» فألّفوهما.

وحكاية مضاعفة وهي ما كان حرفا صدرها مثل حرفي عجزها، مثل زلزل وصلصل، وينسب هذا البناء إلى الثنائي؛ لأنّه يضاعفه، وهو مشتق من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل نحو: صل اللجام يصل صليلاً، كذلك صل اللجام صلصلة.

ذكر الخليل أنّ عدد حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياناً ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو ،والياء، والألف اللينة، والهمزة، وسُمّيت جوفاً؛ لأنّها تخرج من الجوف، ويصف الخليل مخارج الحروف وصفاً ذاتياً دقيقاً بقوله: «فأقصى الحروف كلّها العين ثمّ الحاء، ولولا بَحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هَتّة في الهاء وقال مرة «ههّة» لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثمّ الخاء والغين في حيز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرْفَعُ ثمّ الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاء في حيز واحد، ثمّ الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثمّ الراء واللام والنون في حيز واحد، ثم الفاء والياء والميم في حيز واحد، ثمّ الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه»[38].

وقد رتّب الخليل تلك الحروف ترتيباً صوتياً على النحو التالي:» ع، ح، هـ، خ، غ – ق، ك – ج، ش، ض – ص، س، ز – ط، د، ت – ظ، ذ، ث – ر، ل، ن – ف، ب، م فهذه الحروف الصحاح، و، ا، ي، ء فهذه تسعة وعشرون حرفاً منها أبنية كلام العرب»[39].

·ابتكر الخليل نظام تقاليب الكلمات ويقصد بتقليب الكلمة: تبادل أحرفها فيما بينها، أي: عكس ترتيب الحروف، ويسمّيه تصرّف الكلمة، أي: صور تبادل حروفها سواء أكانت مستعملة أم مهملة،فأشار الخليل إلى أن:

1 – الثنائي يتصرف على وجهين نحو: عق – قع[40].

2 – والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه، وتسمّى مسدوسة، أي: عدد حروفها × تقليبات الثنائي = ست صور.

3 – الكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أنّ حروفها – وهي

أربعة أحرف – تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح، وهي ستة أوجه، فتصير أربعة وعشرين وجهاً مثل: عبقر.

4 – والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً، وذلك أنّ حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفاً، فتصير مئة وعشرين وجهاً، يستعمل أقله ويُلغى أكثره، وفيما يلي شرح مفصل لنظام التقاليب الذي ابتكره الخليل:

فالكلمة الثنائية تتصرف على وجهين مثل: عق ـ قع.

والكلمة الثلاثية تتصرف على ست صور: عدد حروف الثلاثي ثلاثة أحرف × تقليبات الثنائي صورتان على النحو التالي: سلم.

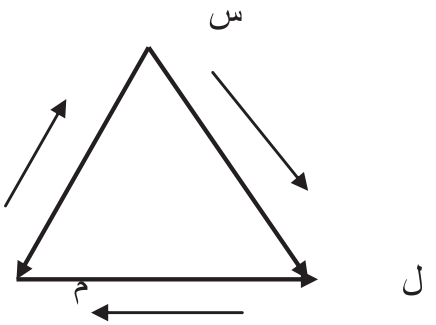

أولاً: عندما يكون السهم متجهاً في اتجاه عقارب الساعة يعطىثلاث صور هي: سلم، لمس، مسل[41].

ثانياً: عندما يكون السهم متجهاً في عكس اتجاه عقارب الساعة يعطى ثلاث صور هي: سمل، ملس، لسم

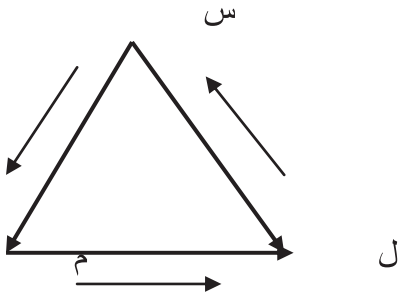

والكلمة الرباعية مكونة من أربعة أحرف تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً مثل: عرقب[42].

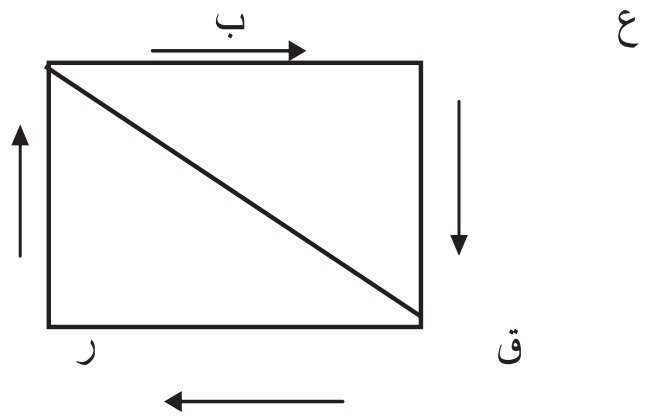

ستة أوجه تبدأ بالعين وهي:

عقرب، عقبر، عبرق، عبقر، عربق، عرقب.

وستة أوجه ثانية تبدأ بالباء وهي:

بعقر، بعرق، بقرع، بقعر، برعق، برقع.

وستة أوجه ثالثة تبدأ بالقاف وهي:

قعبر، قعرب، قرعب، قربع، قبعر، قبرع.

وستة أوجه رابعة تبدأ بالراء وهي:

رقعب، رقبع، رعبق، رعقب، ربقع، ربعق.

والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً مثل كلمة سفرجل، عشرون وجهاً يبدأ بحرف السين، والعشرون الثانية تبدأ بحرف الفاء، والعشرون الثالثة تبدأ بحرف الراء، والعشرون الرابعة بحرف الجيم، والعشرون الخامسة تبدأ بحرف اللام، وذلك على النحو التالي:

تبدأ بحرف السين مع الفاء ثم نقلب باقي الحروف تقليبات الثلاثي على النحو الآتي:

سفرجل، سفجلر، سفلرج، سفلجر، سفجرل، سفرلج.

ثم تبدأ بحرفي السين مع الراء ونقلب باقي الحروف تقليبات على النحو الآتي:

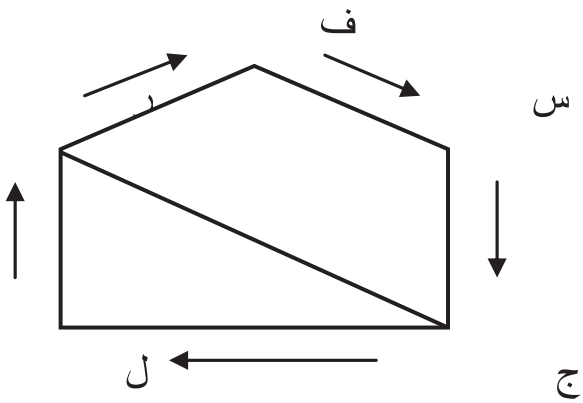

سرفجل، سرجلف، سرلفج، سرلجف، سرجفل، سرفلج.

ثم نبدأ بحرفي السين مع الجيم ونقلب باقي الحروف تقليبات الثلاثي على النحو الآتي:

سجلفر، سجفرل، سجرلف، سجلرف، سجرفل، سجفلر.

ثم نبدأ بحرفي السين مع اللام ونقلب باقي الحروف تقليبات الثلاثي على النحو الآتي:

سلفرج، سلرجف، سلجفر، سلجرف، سلرفج، سلفجر.

وإذا قمنا بحصر المقلوبات التي تبدأ بحرف السين نجدها أربعة وعشرين وجهاً، وهكذا مع باقي التقليبات الأخرى التي تبدأ بالفاء، والراء، والجيم، واللام فمجموعها مئة وعشرون وجهاً.

ملحظوتان:

- أغلب تقليبات الرباعي والخماسي مهملة وغير مستعملة.
- يجب مراعاة ترتيب حروف الكلمة المراد البحث عنها في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ترتيباً صوتياً الأدخل فالأدخل.

الخاتمة:

الحمد للّه الذي بفضله تتم الصالحات، وتتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه يطلب السداد وبمنه وكرمه وصلنا في البحث بعد تمامه إلى جملة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

يمثّل كتاب العين نواة ولبنة المعجم العربيّ، فقد اعتمد عليه أغلب أصحاب المعاجم اللغوية التي جاءت من بعده.

وعلى الرغم من هذا، فقد شكّك فيه المشككون، واختلفت فيه الآراء اختلافاً بيّناً، ونسب أحياناً إليه الخطأ، والاضطراب، والتّصحيف، لذلك من الصعب أن يتوصل الباحث بسهولة إلى حقائق معجم العين، فهناك دائماً من يضيف ويستدرك.

وقد حاول البحث أن يدرس بعض الظّواهر اللغوية التي احتوتها مقدمة العين، فتوصل إلى النتائج الآتية:

1 – تؤكد بداية المقدمة على نسبة العين إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي دون غيره، ويؤيد هذا القول أغلب آراء العلماء والنقاد والباحثين في بطون الكتب.

2 – شرحت الدراسة منهج الخليل في العين، ابتداء بترتيب الحروف ترتيباً صوتياً، ثم تحديد حروف المفردة – أي: الأبنية – وبيّنت كيف استعمل الخليل نظام التقاليب الذي يهدف من ورائه لمعرفة المستعمل والمهمل من الكلام العربيّ.

3 – ميّز الخليل بين نوعين من الأصوات، أصوات صامتة (صحاح)، وأصوات صائتة (الجوف).

4 – وصف الخليل الأصوات الصّائتة (الحروف المعتلة) بالصعوبة بسبب اعتلالها، أي تغير حالها من حال إلى حال أو دخول بعضها على بعض، أو استخلاف بعضها بعض، إلى جانب اتّساع مخرجها.

5 – نبّه الخليل على أنّ كل حرف من حروف اللغة العربية له صرف وجرس، ويقصد بالجرس هو الصوت في سكون الحرف مثل: «بْ، تْ، ثْ...»، وأما الصرف فهو حركة الحرف مثل: «بَ، بِ، بُ...» ما عدا الهمزة، فلا هجاء لها، أي: لا صوت لها، والألف جرس بلا صرف، أي: صوت بلا حركة.

6 – خلصت الدراسة إلى وجود بعض المعايير أو المفاهيم للتّفريق بين مصطلحين صوتيين: الواو والياء الصّامتين أو الصّائتين بسبب وضع رمز كتابي واحد لكلا المصطلحين، إلى جانب توضيح طريقة أو آلية النطق لكلا المصطلحين، فالتضييق الذي يحدث عند إنتاج الأصوات الصائتة تجويفي وليس موضعي، والخلاف بينهما يرجع إلى درجة الانفتاح.

7 – أورد الخليل بن أحمد طرقاً لمعرفة أصل الحرف المحذوف من المفردة، وتتمثل في: جمع المفردة أو تصغيرها أو الإتيان بالفعل منها، أو تثنيتها.

8 – نبّه الخليل على أهمية حروف الذلاقة «فر من لب» والطلاقة «ع، ق، س، د» في استخدام المفردة داخل بناء الكلام العربيّ.

9 – عالجت مقدمة العين بعض القضايا اللّغوية المهّمة ونذكر منها:

·علّة تسمية الكتاب أو المعجم باسم العين.

·وضّح الخليل أهمية همزة الوصل من خلال التّوصل إلى النّطق بالساكن وعدّها بمثابة العماد أو السّلّم للّسان لكي ينطق بالحرف.

·نبّه الخليل على ظاهرة التّشديد – أي: الإدغام – وعدّها وسيلة من وسائل التّخفيف في بناء الكلمة العربية.

·فضّل الخليل استخدام الكلمات الثّلاثية في الكلام العربيّ؛ لأنّها تتكوّن من ثلاثة أحرف: حرف يُبتدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه.

·شرحت الدراسة كيف استخدم الخليل نظام التّقاليب شرحاً وافياً.

·ذكر الخليل مجموعة من المعايير والضّوابط للتمييز بين الكلام العربيّ والكلام المعرّب أو الدخيل وتتمثل في:

1 – احتواء البناء الرباعي أو الخماسي على حروف الذلاقة أو الطلاقة.

2 – لا يوجد اسم عربيّ مصدّر بالنّون والرّاء.

3 – اختصاص اللغة العربية بحرف الظاء من دون سائر اللغات.

4 – نصّ على مصطلح الحكاية بنوعيه، وأهميته في الاستعمال اللغوي للكلام العربي.

5 – عالج الخليل كيف يتم تحويل البناء الثّنائي مثل قد إلى اسم من خلال تشديد الحرف الثّاني فتصير: قَدٌّ.

هوامش البحث ومصادره:

1 - ينظر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك (وآخران)، ط3، ج1، بيروت : مكتبة دار التراث، ص77، محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، 1980، ص235، وأبوعبد الله اللاسكافي، مختصر كتاب العين، حققه هادي حسن حمودي، سلطنة عمان : (د.ن)، 1998 ص22، عبد الحميد الشلقاني، مصادر اللغة، طرابلس : منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1977، ص570.

2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج1، (د.م) : دار الرشيد للنشر، 1980، ص47.

3 - ينظر محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، طرابلس : منشورات جامعة الفاتح، 1986، ص24، عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ط3، القاهرة : مكتبة وهبة، 1996، ص38، مناف مهدي الموسوي، علم الأصوات اللغوية، طرابلس : منشورات جامعة السابع من أبريل، 1993، ص51.

4 - ينظر الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص51، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت : دار الجيل، ج4، 1991، ص433، أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت : عالم الكتب،ج1، ص192، أبوالفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق فتحي حجازي، أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية،ج1، ص54.

5 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص47.

6 - ينظر حكمت كشلي فواز، كتاب العين : دراسة وتحليل ونقد، بيروت : دار الكتب العلمية، ص48، نعيم سلمان البدري، كتاب العين في ضوء النقد اللغوي، عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع، 1999، ص237.

7 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص48.

8 - المصدر السابق، ص48.

9 - المصدر السابق، ص49.

10 - ينظر أبوعلي الحسن بن أحمد الفارسي، التكملة، تحقيق حسن شاذلي فرهود، ج2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص273، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، مكتبة المثنى، ج10، ص121، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، شرح المراح في التصريف، تحقيق عبد الستار جواد، مج1،2، مطبعة الرشيد، 1990، ص142، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الشافية، تحقيق محمد نور الحسن (وآخران)، 1975، ص235، رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، ط3، (د.م) : مكتبة الخانجي، 1997، ص 34.

11 - الخليل، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص49.

12 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص49.

13 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص49.

14 - ينظر أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج1، (د.م) : (د.ن)، (د.ت)، ص61، أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج1، ص52، وشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، 2001، ص89، السيوطي، مصدر سبق ذكره، ج1، ص199.

15 – الأزهري، تهذيب اللغة،ج1، ص51.

16 – ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص67.

17 - أبو الحسن ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، راجعه وقدمه طه عبد الرؤوف، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية، 1978، ص21.

18 – ينظر مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة، تحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب تحقيق أحمد حسن فرحات، ط2، عمان : دار عمار، 1984، ص126، الفخر الرازي، التفسير الكبير، ط3، ج1، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ص ص29 30، الحافظ أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر، قدم له: علي محمد الضباع، ط3، ج1، بيروت : دار الكتب العلمية، 2006، ص200.

19 – ينظر كمال بشر، علم اللغة العام : الأصوات، القاهرة : دار المعارف، 1980، ص 85، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة : عبد الخالق ثروت، 1976، ص283، الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تونس : (د.ن)، 1973، ص 138.

20 – الأزهري، مقدمة تهذيب اللغة، ج1، (د.م) : (د.ن)، (د.ت)، ص51.

21 - ينظر أحمد بن محمد الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، شرح ودراسة يسرية محمد إبراهيم، ج2، القاهرة : مطبعة التقدم، (د.ت)، ص189، أبوالقاسم محمود الزمخشري، المفصل في علم العربية، ط2، ص374، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق عبدالاله النبهان، ج2، ص284، أبن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوه، ج2، ص605، أبن إياز، شرح التعريف بضروري التصريف، تحقيق وشرح ودراسة هادي نهر،هلال ناجي، ص242، أبي حيان الأندلسي، المبدع في التصريف،ص238، والأزهري، شرح التصريح على التوضيح،ج2، ص372.

22 – الخليل، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص60.

23 - ينظر كمال بشر، علم اللغة العام، ص108، وعبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، ص161، وسلمان العاني، التشكيل، ص38.

24 - ابن سيناء، أسباب حدوث الحروف، ص20.

25 – أحمد فريد، الدقائق المحكمات في المخارج والصفات، ص72.

26 - الأزهري، مقدمة تهذيب اللغة، ج1، ص51.

27 – الإمام أبو الفتح عثمان بن جني، المنصف، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، بيروت : دار الكتب العلمية، 1999، ص190.

28 - ينظر سيبويه، مصدر سبق ذكره، ج4، ص 435،436، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص28، ابن سيناء، أسباب حدوث الحروف، ص21، رضي الدين الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص261.

29 - الخليل، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص50.

30 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص50.

31 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص51.

32 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص52.

33 - ينظر العكدة أصل اللسان ينظر مادة «عكد» في الصحاح إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ج2، القاهرة : دار العلم للملايين، 1956، ص511، أبوالحسن أحمد بن فارس مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج4، بيروت : دار الجيل، 1999، ص105، أبوالحسين أحمد بن فارس، مجمل اللغة، راجعه ودققه محمد طعمة، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 2005، ص438، مجدي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المحيط القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرغشلي، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 2001، ص286.

34 - الخليل، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص52.

35 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص54.

36 - أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أبي الأشبال أحمد محمد شاكر، القاهرة : دار الكتب المصرية، (د.ت)، ص11.

37 - الخليل، معجم كتاب العين، مصدر سبق ذكره، ج1، ص53.

38 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص 57،58.

39 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص 57،58.

40 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص62.

41 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص265.

42 - الخليل، معجم كتاب العين، المصدر السابق، ص296.